عبد الرحمن بن عوف

أمين في أهل السماء، أمين في أهل الأرض

صوت: عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً».

(المدينة المنورة. في رابعة النهار والشمس ساطعة. المدينة ساكنة هادئة. غبار أصفر يبدأ يتصاعد من رمال الصحراء الناعمة – الغبار في مسالك المدينة كأنه عاصفة رملية. ما إن بدأ الناس يتنبهون لهذا الغبار الذي بدأ يحجب الشمس، حتى لامس أسماعهم دبيب هز أركان المدينة.

بعض الرجال يخرجون من المسجد. ينصرفون. أحدهم: صفوان أكبرهم سناً، يتوقف وينظر إلى الأفق رافعاً إحدى يديه فوق رأسه ليحسن الرؤية. يحاول أن يستطلع الجو. ينضم إليه رجل ثان: سعد، ثم ثالث: عمرو.)

صفوان: ما هذا يا سعد؟

سعد: الله أعلم يا شيخ صفوان.

عمرو: هذا غبار أصفر من الصحراء.

صفوان: لعلها عاصفة رملية.

سعد: لم نشهد عواصف في هذا الوقت من العام.

صفوان: وهذا الدبيب الذي يهز أركان المدينة؟

سعد: أهو الزلزال؟

صفوان: الزلزال؟

الثلاثة: اللهم فرج كرباتنا وآمن روعاتنا!.

صفوان: اللهم إنا لا نسألك ردّ القضاء ولكن نسألك اللطف فيه.

(رجل رابع: بكر، يقبل مهرولاً)

بكر: اطمئنوا أيها الإخوة، هذه قافلة آتية من الشام

(ينصرف مهرولاً)

الثلاثة: قافلة تحدث هذه الرجة؟

(رجل خامس: مالك، يقبل مهرولاً)

مالك: هذه قافلة عبد الرحمن بن عوف آتية من الشام.

(ينصرف مهرولاً – رجل سادس: عمير، يقبل مهرولاً)

عمير: قافلة عبد الرحمن بن عوف.. بها سبع مئة راحلة.

صوت١: سبع مئة راحلة.

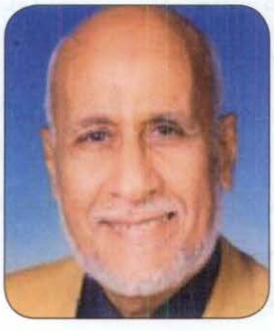

د. حمادة إبراهيم - مصر

صوت٢: سبع مئة راحلة تحمل تجارة من الشام!

عمرو: وصلت قافلة عبد الرحمن بن عوف؟

سعد: نعم. وصلت، هيا لنكون في استقبالها.

(رجل آخر: عبد الله يمر)

عبد الله: ما هذا الذي يحدث في المدينة؟

عمرو: هذه قافلة عبد الرحمن بن عوف تحمل تجارة من الشام.

عبد الله: قافلة تحدث هذه الرجة؟

سعد: نعم! إنها سبع مئة راحلة.

عمرو: هيا نستقبلها. هيا.

الجميع: هيا. هيا!

(صفوان لا يستطيع لكبر سنه أن يلحق بهم - يتوكأ على عصاه ويتبعهم في بطء، يتوقف قليلاً قبل أن يستأنف سيره ليقول بصوت واضح النبرات بعد أن يتأمل الأفق كأنما يبحث عن ذكرى أو مقالة سمعها:)

صفوان: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبْواً».

إظلام

سعد: **(داخلاً البيت وخلفه عبد الرحمن بن عوف)** تفضل يا أخي في الإسلام تفضل يا عبد الرحمن بن عوف.

ابن عوف: **(يدخل متردداً)**

سعد: (مشيراً ومرحباً) تفضل يا عبد الرحمن. هذا بيتك.

ابن عوف: السلام عليكم ورحمة الله.

سعد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. تفضل يا أخي اجلس.

ابن عوف: **(وهو يجلس)** بارك الله لك في دارك يا أخي.

سعد: هي دارك أيضاً يا أخي.

ابن عوف: هذه أخوة الإسلام - الأخوة في الله.

سعد: الحمد لله على نعمة الإسلام.

ابن عوف: الحمد لله على نعمة الإيمان.

سعد: اسمع يا عبد الرحمن. لا حرج في الدين. وهذه وصية رسول الله ﷺ.

ابن عوف: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول.

سعد: اسمع يا عبد الرحمن: تعرف أنني أكثر أهل المدينة مالاً. فلك نصف مالي.

ابن عوف: بارك الله لك في مالك يا أخي.

سعد: ولي امرأتان فانظر من تعجبك حتى أطلقها فتتزوجها.

ابن عوف: بارك الله لك في مالك وأهلك يا أخي.

سعد: هذه هي المؤاخاة التي يؤاخي بها رسول الله بين المسلمين، بين مهاجر من مكة وأنصاري من المدينة.

ابن عوف: بارك الله لك في مالك وأهلك يا أخي. ولكنني أريد منك شيئاً آخر.

سعد: مرني يا أخي.

ابن عوف: أنت من أهل المدينة وأعرف بها مني. فدُلني على السوق.

سعد: عبد الرحمن أنت أخي وضيفي وكل ما تريده من السوق أنا حقيق بأن أوفره لك بعد أن نتناول الطعام إن شاء الله.

ابن عوف: أنا لا أريد السوق لشراء شيء معين يا أخي.

سعد: إذن ما حاجتك للسوق؟

ابن عوف: أريد أن أشتري وأبيع.

سعد: تتاجر يا أخي؟

ابن عوف: وماذا في ذلك؟

سعد: التجارة تحتاج إلى خبرة وأنت لم تمض يوماً كاملاً في المدينة.

ابن عوف: الخبرة موجودة والحمدلله.

سعد: والتجارة تحتاج إلى رأس مال.

ابن عوف: وهذا أيضاً معي.

سعد: يا عبد الرحمن، من أين لك بالمال؟ أنت لا تملك منه إلا دراهم معدودة.

ابن عوف: هذه الدراهم تكفي إن شاء الله. وسترى مني ما يسرك يا أخي بإذن الله.

سعد: يا عبد الرحمن!

ابن عوف: دلني على السوق يا سعد وسترى مني ما يثلج صدرك ويسر فؤادك.

سعد: نتناول الطعام أولاً.

إظلام

سعد: (داخلاً البيت وخلفه عبد الرحمن بن عوف) تفضل يا أخي في الإسلام تفضل يا عبد الرحمن بن عوف.

ابن عوف: (يدخل متردداً)

سعد: (مشيراً ومرحباً) تفضل يا عبد الرحمن. هذا بيتك.

ابن عوف: السلام عليكم ورحمة الله.

سعد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. تفضل اجلس يا أخي.

ابن عوف: (جالساً) ما أشبه الليلة بالبارحة.

سعد: أهلاً بك يا أخي.

ابن عوف: بيتك كما هو يا سعد. كأني به كما دخلته قبل عشر سنين.

سعد: يوم آخى رسول الله بيني وبينك.

ابن عوف: يوم دللتني على السوق. فاشتريت وبعت وربحت، حتى أصبحت من أغنى أغنياء المدينة.

سعد: بارك الله لك في مالك.

ابن عوف: هكذا كان دعاء رسول الله لي ﷺ يوم تبرعت بنصف مالي. قال لي: يا عبد الرحمن، بارك الله لك فيما أنفقت. وبارك الله لك فيما أمسكت.

سعد: صلى الله عليه وسلم.

ابن عوف: ومنذ ذلك اليوم يا سعد، راجت تجارتي وتضاعفت أرباحي بشكل أثار عجبي قبل أن يثير

عجب الناس، حتى لقد رأيتني لو رفعت حجراً لوجدت تحته ذهباً أو فضة.

سعد: أنت تنفق أيضاً يا عبد الرحمن بسخاء يثير عجب الناس أيضاً.

ابن عوف: ولكن رسول الله يا سعد قال لي مرة أخرى: يا بن عوف، أنت من الأغنياء وإنك ستدخل الجنة حبواً. فأقرض الله يطلق لك قدميك.

سعد: وهذا ما يشغلك يا بن عوف؟

ابن عوف: نعم يا أخي.

سعد: مع أنك من العشرة المبشرين بالجنة.

ابن عوف: ولكنني أدخلها حبواً يا سعد.

سعد: تريد أن تدخلها هرولة وجرياً؟!

ابن عوف: مع إخواني وأصحابي.

سعد: لقد قالها لك رسول الله: أقرض الله يطلق قدميك.

ابن عوف: وهل تراني ممسكاً يا أخي؟ والله إني كلما أقرضت الله ضاعف لي أضعافاً كثيرة. حتى إني لا أعرف أعداد مالي ومقدار ما عندي من الذهب والفضة.

سعد: عجباً لك يا بن عوف، الناس يشكون الفقر وأنت تشكو الغنى.

ابن عوف: أليس الغنى هو الذي يقيد قدمي في الجنة؟

سعد: المدينة كلها يا بن عوف تتحدث عن إنفاقك في سبيل الله. من لا يذكر اليوم الذي قمت فيه ببيع أرضك

التي بلغ ثمنها أربعين ألف دينار وزعتها جميعاً على أهلك وعلى أمهات المؤمنين وفقراء المسلمين؟

ابن عوف: اللهم اجعله في ميزان حسناتي.

سعد: ومن ينسى يوم قدّمت لجيوش المسلمين خمس مئة فرس؟ ويوم قدمت ألفاً وخمس مئة راحلة؟

ابن عوف: الله اجعله خالصاً لوجهك الكريم.

سعد: هون عليك يا بن عوف. نفطر إن شاء الله، فنحن صائمان. ولكن طعامنا ليس طعام الأغنياء.

(يخرج سعد لحظة ويعود حاملاً الطعام فيجد ابن عوف يبكي)

سعد: تبكي يا بن عوف على الطعام؟

ابن عوف: أشهد الله أني صائم. ولكن ليس بي شهية للطعام.

سعد: يا بن عوف كنت جائعاً قبل ساعة، ونحن في الطريق إلى هنا.

ابن عوف: والله لقد كنت جائعاً قبل ساعة. ولكنني ما إن رأيت الطعام حتى فقدت شهيتي.

سعد: أمرك عجيب يا بن عوف!

ابن عوف: لقد تذكرت أخي مصعب بن عمير وهو خير مني، حينما استشهد كفنّاه في بردة قصيرة، إن غطت رأسه، ظهرت رجلاه، وإن غطت رجليه ظهر رأسه. وحينما استشهد حمزة، عم رسول الله، وهو خير مني، لم نجد ما نكفنه فيه إلا بردة.

سعد: رحم الله شهداءنا، وألحقنا بهم بفضله وجوده ورحمته.

ابن عوف: ثم بسط الله لنا من الدنيا ما بسط، وأعطانا منها ما أعطانا. وإني لأخشى أن نكون ممن عُجّلت لهم حسناتهم وأذهبوا طيباتهم في الدنيا.

سعد: لماذا خوفك يا بن عوف وأنت ممن بشرهم رسول الله بالجنة؟

ابن عوف: ﷺ. لقد مات وهو سيد الناس، وخير خلق الله، وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير.

سعد: صلى الله عليه وسلم.

ابن عوف: اسمع يا سعد. إن أحمال قافلتي ما تزال فوق رحالها، وهي سبع مئة راحلة أشهدك أنها بجميع ما فيها في سبيل الله. سأقوم بتوزيعها على فقراء المدينة.

سعد: بارك الله لك يا بن عوف.

ابن عوف: وأُشهدك يا بن الربيع أن أهل المدينة جميعاً شركاء لابن عوف في ماله. ثلث يُقرضهم، وثلث يَقضي عنهم ديونهم، وثلث يصلهم ويعطيهم.

سعد: والله لقد وفيت يا بن عوف. فأنت كما قال رسول الله، أمين في أهل السماء أمين في أهل الأرض. هيا إلى الإفطار إذًا.

ابن عوف: والله إني أخاف أن أُحْبَس عن أصحابي لكثرة ما كان لي من مال.

(تسمع جلبة هرولة في الخارج وأصوات عالية)

صوت١: يا سعد بن الربيع، قُتل عمر بن الخطاب!.

صوت٢: يا سعد بن الربيع، قُتل أمير المؤمنين!.

إظلام

(عبد الرحمن بن عوف وحده يحدث نفسه: إيه يا عبد الرحمن! قُتل أمير المؤمنين. قُتل عمر. والخلافة شاغرة، تنتظر من يشغلها. الخلافة يا عبد الرحمن. لا المال ولا الذهب ولا الفضة ولا الخيل ولا حمر النعم، ولا كنوز الأرض تعدل الخلافة. السلطان يا عبد الرحمن. على الكبير والصغير، والأمير والحقير، والقاصي والداني، في كل بلاد المسلمين. كل بلاد المسلمين طوع إشارة منك. ومن أحق منك بالخلافة؟ أنت الأمين في أهل السماء، وأنت الأمين في أهل الأرض. هكذا قال رسول الله!.

وبذلك تكون الدنيا كلها قد دانت لك: المال والسلطان. فماذا تنتظر؟ ماذا تنتظر يا عبد الرحمن؟ أن يتولى

الخلافة واحد غيرك من الستة الذين اختارهم عمر؟ أنت أحدهم. وأنت أحقهم. أنت ثامن ثمانية في الإسلام. صاحب اليد العليا. ومالُك لا تنعم به وحدك، بل ينعم به أهلك ورحمك وإخوانك والمجتمع كله، تعطي وتقرض وتقضي الدين عن المدينين، هيا! هيا يا عبد الرحمن. الأصابع تشير نحوك يا بن عوف. وبعض الصحابة فاتحوك بأنك أحق الستة بالخلافة.

ولا تنس بلاءك في الإسلام وجهادك: يوم أُحد، أصبت بعشرين جرحاً. بل إن إحدى إصاباتك سببت لك هذا العرج الدائم في إحدى ساقيك. كما سقطت بعض ثناياك فسببت لك هذا الهتم الواضح في نطقك.

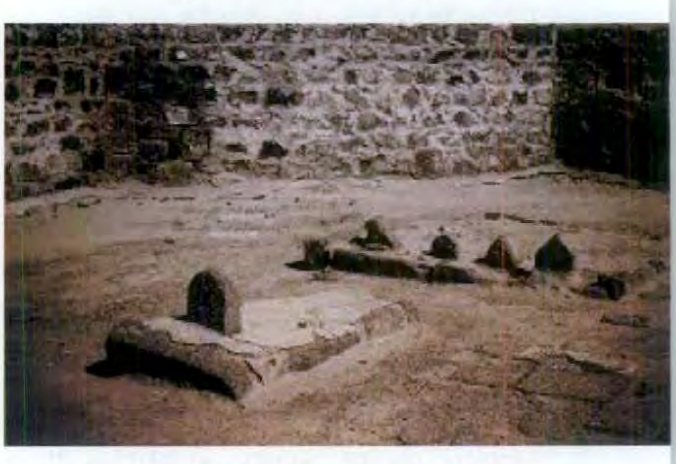

هيا يا بن عوف! هيا! هيا! (كالصدى) هيا! هيا! هيا! لحظة. كمن يفيق من كابوس أو حلم مزعج. في قوة وتصميم: لا! لا! لا! كلهم خير مني! كلهم خير مني! كفاني فتنة المال! والله لأن تؤخذ مدية فتوضع في حلقي، ثم يُنفذ بها إلى الجانب الآخر أحب إلي من ذلك. والله لأذهبن من فوري لأعلن تنازلي عن حقي الذي أعطانيه عمر).

إظلام

(عبد الرحمن بن عوف على فراش الموت، وسعد بن الربيع)

ابن عوف: عبد الرحمن بن عوف الذي كان يوماً في الشام، ويوماً في اليمن، وراء تجارته، يبيع ويشتري، ويجمع المال، ويجهز السرايا والجيوش، وينفق، ويعطي، ويصل، ويقضي الديون. هاهو ذا عبد الرحمن بن عوف حبيس الفراش يموت موت البعير.

سعد: ماذا يضيرك يا بن عوف وقد بشرك رسول الله بالجنة؟

ابن عوف: أدخلها حبواً يا بن الربيع. لكم تمنيت أن أفوز بالشهادة لعلها تطلق قدمي. والله إني أخاف أن يحبسني مالي عن أصحابي.

سعد: لقد أنفقت يا عبد الرحمن: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

ابن عوف: وإني أشهدك يا سعد، أني أوصي بخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأوصي لكل من بقي ممن شهدوا بدراً بأربع مئة دينار، وأوصي بخمس مئة دينار لكل واحدة من أمهات المسلمين.

سعد: وهذه عائشة يا بن عوف تريد أن تخصك بشرف لم تخصَّ به غيرك، ولعلها تعبر عن شيء سمعته من رسول الله. إنها تعرض عليك يا بن عوف أن تُدفن في حجرتها بجوار رسول الله، وأبي بكر وعمر.

ابن عوف: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه. هذا كرم من عائشة جزاها الله عني خير الجزاء. هذا شرف لا أستحقه، ومقام لا أرتفع إليه.

سعد: إذًا هو عهدك القديم مع صاحبك عثمان بن مظعون أول من دفن في البقيع من المسلمين؟

ابن عوف: نعم، عثمان بن مظعون أول من توفى من المهاجرين بالمدينة تعاهدنا أيّنا يموت بعد صاحبه، يدفن إلى جواره■